فلسفة التفسير والتأويل عند بعض فلاسفة المسلمين

د. منصور علي العجيلي تنتوش
كلية الآداب/ جامعة غريان

ملخَّص البحث:

هدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مجهودات بعض المفسرين المسلمين في التوفيق بين التفسير القرآني المأثور، وتفاسير الفلاسفة المسلمين، الذين تأثَّروا بالتأويلات العقلية الفلسفية، ورأوا أنَّ في مقدورهم أنْ يوفِّقوا بين الحكمة والشريعة، أو بين الفلسفة والدين، وأنْ يثبتوا للناس أنَّ الوحي لا يناقض العقل في شيء، وأنَّ العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكَّنت من النفوس، وثبتت أمام الخصوم، لذلك سنعمل في هذا البحث على استكناه ما جادت به قرائح الدارسين في التفسير والتحليل والتأويل، وما اهتموا به من جوانب في مقارباتهم المتعدِّدة سواء كانت بالرواية أو بالدراية، ومن خلال المنهج التحليلي الوصفي سيوضِّح الباحث إلى أي مدى يمكن الاستفادة من المنهج الفلسفي التحليلي في التفسير، ومدى توافقه مع شروط التفسير التي اتفق على تحديدها علماء التفسير القرآني، ومدى تأثرهم بالتأويلات الأجنبية. وقد توصَّل الباحث إلى عدَّة نتائج وتوصيات، نذكر من النتائج ما يلي:

*- إنَّ التأويل مرتبط باللغة لا ينفصل عنها، باعتبار أنَّ اللغة هي الواسطة التي تتم من خلالها عملية الفهم والتأويل، ذلك أنَّ اللغة تبني عالماً مستقلاً عن الذات، وهي آلة حاملة للخبرة الإنسانية.

ومن التوصيات ما يلي:

*- يجب التعامل مع النص القرآني وهو نظام معرفي مستقل بذاته، كما أنَّ العمل على استكشاف طبيعته يكون من داخل فقرات نصوصه، ذلك أنَّ بعض الآيات يُفسِّر

بعضها الآخر، ومع ذلك من الصعوبة أنْ يصل أيٌّ مفسر إلى المراد المطلق من الآيات المتشابهات.

الكلمات المفتاحية: التفسير – التأويل– السياق – المتشابه– المحكم – الرواية – الدراية.

Abstract

This study aims to highlight the efforts of some Muslim interpreters in reconciling the archaic Quranic interpretation with the interpretation of Muslim philosophers who were influenced by philosophical interpretations, tried to reconcile religion with philosophy, and felt that they could reconcile wisdom with sharia or philosophy with religion, And to prove to people that the revelation does not contradict the mind in anything and that if the doctrine was enlightened by the light of wisdom, it was able to feel and proved before the adversaries So we're going to work in this research on what the scholars' segments of interpretation and analysis have done. And what they cared about in their multiple approaches, whether it's fiction or know-how. and through the descriptive analytical curriculum, the researcher will explain to what extent the analytical philosophical curriculum can be used in interpretation, and its compatibility with the terms of interpretation agreed upon by Koranic interpreters and their vulnerability to Western hormones The researcher's findings and **recommendations** include the following:

*-The interpretation in the language is inseparable, since language is the medium through which the process of understanding and interpretation takes place The language builds an independent world, a machine of human experience. Among the **recommendations** are the following:

* - The Quranic text must be treated as a separate knowledge system, and the exploration of its nature is made from within the paragraphs of its texts, as some verses are interpreted by others, and to learn that it is difficult for any interpreter to reach the absolute purpose of similar verses.

Keywords: interpretation- interpretation- context- pyramidal- novel- know.

المقدمة:

إنَّ تأويل القرآن وفهمه يأتي من فهم اللغة العربية التي نزل بها القرآن على النبي –صلوات الله وسلم عليه– وهو بدوره أملى ما نزل عليه من القرآن على الصحابة، فلم يجدوا صعوبة في تدبُّره وتعقُّله؛ لأنَّهُ نزل بلسانهم الَّذي يعرفونه، وأساليبهم المعهودة بينهم، ومع ذلك كان الصحابة –رضي الله عنهم– يتفاوتون في مراتب فهم القرآن كل حسب قدراته، ومدى ملازمته للرسول، ومن المعلوم أنَّ القرآن يتضمَّن آيات ظاهرها يوحي بالتضاد، وآيات مفادها أنَّ الإنسان حر مخيَّر كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ الْحَقُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] وآيات أخرى مفادها أنَّه مجبر كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلاَ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾[2]، وآيات تنزِّه الخالق عن التشبيه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3] وآيات تنسب أعضاء للخالق كاليد كقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيدِيهُم ﴾[4] وأعضاء وصفات أُخرى كالعين والكلام والذهاب والمجيء كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[5] وبعض الآيات محكمات ومنها متشابهات، ذكرها الله في الذكر الحكيم حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِّنْ عَندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[6] ومن المعروف عن الصحابة أنَّهم كانوا يتحاشون الجدل والخلاف، فلم يثيروا حول هذه الآيات المتشابهات أي سجال، وآمنوا بها كما أُنزلت، ولكن بعد وفاة الرسول –صلوات الله عليه– دبَّ بينهم الخلاف السياسي، فأخذ كل فريق ينصر موقفه السياسي بتفسير أو بتأويل آيات القرآن، بما يتفق مع توجُّهه السياسي، ويستخلص الحجة على من خالفه ويعزِّز بها موقفه، ولمَّا اتسعت الدولة الإسلامية، وضمت شُعوب أخرى، أثار بعضهم مسائل تحتاج للتفسير والإيضاح، لذا ظهرت أهمية التفسير والتأويل في توضيح ما صعب فهمه على العامة من آيات القرآن أو مفرداته.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا الموضوع في أن تأثير فلسفة التفسير امتدت إلى عصرنا الحاضر حيث تأثر بعض المفسِّرين العقليين بفلاسفة الهرمنيوطيقا الغربية، ويحاول بعضهم تطبيق المنهج الغربي على الدراسات الإسلامية، فظهرت توجُّهات مختلفة بخصوص استخدام هذا

المنهج الفلسفي في فهم النصوص القرآنية، فنرى أنَّ بعض الدارسين يرفض هذه الفكرة جملةً وتفصيلاً، بينما يؤيدها البعض الآخر وبكل قوة، ولازال السِجال بينهم إلى يومنا هذا. وهناك اتجاه ثالث يرى أنَّ التعامل مع هذا الأمر يجب يتم بالتفهُّم ولغة المنطق والإذعان لنداء العقل، وأنَّ المنهج الذي يجب علينا إتباعه لا بد أنْ يتناسب مع ثقافتنا وفلسفتنا الاجتماعية وتراثنا التفسيري.

ويرى البعض أنَّه لا ضير في الاستفادة من التجارب الإنسانية المشتركة لكل المشتغلين بتفسير وتأويل النصوص المختلفة في التراث الإنساني غربي أو شرقي، والجمع بين ميزة كل الطرق والتقليل من العيوب في أي طريقة، "أي العمل على التوفيق بين هذه المناهج، ولكن ليس بشكل تلفيقي، يُظْهر فيه البعض رغبته في التمسُّك بأسلوب التحليل اللغوي الغربي، والعمل بمنهج الهرمنيوطيقا باعتبارها الأسلوب الوحيد المتاح، وأنَّها تمتزج في الصبغة اللغوية للوجود الإنساني"[7]، على الرغم من أنَّها لا تزال محل جدل بين الباحثين، فمنهم من وصفها بأنَّها "قضية مستوردة ومفروضة على العالم الإسلامي"[8]، وأنَّ الداعين لها هم أنصار فكر مستورد، وأنَّ ثقافتنا الإسلامية وتراثنا يسع الجميع على مستوى التأويل والتفسير والتلقِّي والفهم والإيصال الذي يتعدَّى الجوانب الفنية والجمالية.

إشكالية البحث:

تتمثَّل إشكاليات البحث في صياغة التساؤلات التي تحدِّد محاور البحث، وتساعد في إيجاد نتائج لكل محور وإيضاح ما يريد الباحث شرحه وتبيينه، وهي أيضاً تميَّز البحث عن غيره من البحوث التي تتناول نفس الموضوع، وتعد الإشكاليات محدَّدة لوجهة الباحث التي بناءً عليها يعالج عناصر بحثه، والتي يسعى لإيجاد إجابات ولو مؤقتة لها، من خلال تحليل الآيات المتشابهات، وعليه افترضنا التساؤلات الآتية:

1- ما هو الدور الذي يلعبه التفسير الفلسفي في فهم الخطاب القرآني؟

2- إلى أي حد يمكن اعتبار المنهج التأويلي عاملاً مساعداً في تجديد الخطاب الديني؟

3- ماذا يقصد بالتأويلات الفلسفية، وما مدى تأثيرها في فلاسفة التفسير والتأويل؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة مدى تأثر الدارسين المسلمين بفلاسفة التفسير والتأويل العقلي، ومدى محاولة بعضهم تطبيق المنهج الفلسفي على الدراسات الإسلامية، وظهور توجهات مختلفة بخصوص استخدام منهج التأويل العقلي في فهم النصوص القرآنية.

وعليه فصياغة أهداف الدراسة ستكون تأطيراً للبحث وضبط لحيثياته وإضاءةً لأبعاده، ويمكن أنَّ توضيح أهداف البحث في النقاط التالية: الاستفادة من تطور الأبحاث اللغوية في فهم النص القرآني وما فيه من قوة لغوية إيحائية ودلالات تأثيرية تتعاضد لتعزيز العبرة الدينية والغايات والمقاصد الإنسانية. استقراءالنص القرآني من خلال مقاربة تأويلية ومدى تأثيرها في المخيلة البشرية في إعادة تفسير وتأوي لبعض الآيات القرآنية باعتبار التأويل و التفسير لصيق باللغة.

3- مدى فهم النص وإدراك تفسيره لعامة الناس، من خلال فهم دلالاته اللغوية وايماءاته السردية وتجليات العظمة الإلهية في تدبير شؤون الخلق، من خلال الاستفادة من تطور الدراسات اللغوية بما فيها الأجنبية.

4 4- إدراك ميزات وعيوب تطبيق التأويل العقلي في تفسير النص القرآني بشكل يتوافق مع أحكام الشرع ومراعات الغرض الديني للنص القرآني.

منهج البحث.

بما أن موضوع البحث نظري فهو يتطلب أتباع المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب المنهج الاستدلالي.

الدراسات السابقة:

وهي الدراسات التي تفيدنا في هذا البحث، و التي ركزت على الجوانب التفسيرية أو التأويلية، أو الدراسات التي لها علاقة بتأويل الآيات المتشابهات من القرآن الكريم بشكل عام، وفي التفسير الفلسفي بشكل خاص ومنها: * (تفسير النصوص وحدود التأويل عند ابن حزم الأندلسي[9](: هذه الدراسة قام بها: د. نعمان بوقرة وهي عبارة عن قراءة في مضمون النظرية الظاهراتية، التي تهتم بتأول ظاهر النص.

* (الاتجاه العقلي في التفسير) :[10]هذه الدراسة للدكتورنصر حامد أبي زيد. وهي تعتبر ذات أهمية بالغة في مجال التفسير القرآني، و خاصة فيما يخص قضية المجاز القرآني عند المعتزلة.

*(فهم الفهم– مدخل إلى نظرية الهرمنيوطيقا)[11]. د. عادل مصطفى :هذه الدراسة تأويلية ومن ضمن الدراسات المتاحة التي قاربت موضوع الباحث، في التأويل التفسير بالرأي..

*(الكتاب والقرآن) .[12]هذه الدراسة حداثية هرمنيوطيقية، يرى صاحبها محمد شحرور أن التأويلات الخاطئة أدت إلى فهم غير صحيح للتراث الديني، لذلك يرى ضرورة التمييز بين التراث والمعاصرة والأصالة.

*(جواهر القرآن) : هذا الكتاب من أشهر كتب أبي حامد الغزالي الذي خصصه القرآن وعلومه التي شبهها بالكنوز، وشبه القرآن بالبحر المحيط ، ومقصده الأسمى هو الدعوة لعبادة الرحمن وخلع الأوثان.

)تاريخية النص القرآني عند نصر حامد أبوزيد):[13] صاحبة الدراسة أسماء حديد. هذه الدراسة قراءة تفكيكية في تاريخية النص القرآني عند نصر حامد أبوزيد، والذي يسعى إلى تجديد الخطاب التفسيري.

*(التلقي والتأويل) .[14]تتناول هذه الدراسة مفهوم التأويل ومبادئه وقوانينه وتمثيلاته، وتناولت افكار ابن رشد.

تصميم البحث:

تم تقسيم البحث على شكل مبحثين وكل مبحث مكون من ثلاثة مطالب كما يلي:

المبحث الأول:. التفسير الفلسفي والتأويل ونشأته

المطلب الأول :. نشأة التفسير الفلسفي وأهميته في فهم القرآن:

يعد التفسير الفلسفي أحد مناهج تفسير النصوص، ويعرّف أيضاً بتفسير الفلاسفة، وهذا التفسير هو خلاصة ما يبذله الفلاسفة من جهد في إعمال رأيهم في استخلاص المعنى من النصوص القرآنية، وذلك استنادا إلى أدلة لغوية، واستنباطاً للمعاني واستنتاجاً للفوائد من الآيات الكريمة، والاستعانة بأسباب نزولها وما تشمله من أدلة شرعية يرونها أو يستقونها من

كتب التفسير، ويستخدم بعض الدارسين مصطلحات أخرى مرادفة للتفسير الفلسفي، مثل التفسير الاجتهادي أو العقلي أو التفسير بالرأي. مع الأخذ في الاعتبار أن التفسير الفلسفي ينظر إليه البعض نظرة المتردد، لأن بعض مفسري السلف يعدونه من التفسير المذموم، ويسوقون أدلة على ذلك؛ منها ما ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال:(إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن. أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا)[15]، مع العلم أن الموقف من النص تتحكم فيه عدة أمور منها السياسية ومنها الفقهية واللغوية، لذا كثرت الاختلافات حول ما قدمه فلاسفة الإسلام من تفاسير وتأويلات لآيات معينة، ذلك أن الفلاسفة لم يكن لهم تفسير شامل للقرآن، ولكن لهم تأويلات لبعض آيات الكتاب الكريم تتفق مع أفكارهم وآرائهم المذهبية أو فهمهم الخاص للمعاني اللغوية، وتأتي أهمية علم التفسير بصفة عامة في بيان ما استعصى من كلام الله، على فهم بعض المتلقين وذلك من أجل فهم كتاب الله والعمل بتعاليمه، لذلك قدم العارفون أغلى النصائح لمن أراد تفسير ألفاظ القرآن وفهم معانيه، من ذلك أن يكون ملماً بلغة العرب وخصائص أساليبهم البلاغية و البيانية، والاطلاع على أشعار العرب وآدابهم. أما في عصرنا الحاضر فيجب الاطلاع على شتى أنواع العلوم والمعارف، والثقافة العامة حتى لا يكون هناك تناقض بين تفسير الآيات القرآنية و الاكتشافات العلمية الحديثة، وغير ذلك من القضايا التي أثبتها العلم.

رغم أن التفسير في بدايته هو مأثور عن التابعين، لأن الصحابة لم تكن لهم تفاسير مدونة، والتابعين هم تلاميذ الصحابة الذين اهتموا بدراسة القرآن، وفي زمنهم اتسعت الدولة الإسلامية، ودخلت الإسلام شعوب أخرى من غير العرب، وامتزجت الثقافات، وانتشر التابعون في البلدان المفتوحة ليواصلوا نشر ماتعلموه من الصحابة الذين كان جُل اهتماهم متوجه لكتاب الله، الذي تُعد دراسته وتفسيره من أفضل العلوم، منطلقين في تفسيراتهم من القرآن نفسه، وما بينه الرسول ﷺ وما تحصلوا عليه من علم الصحابة، واجتهادهم و حرص تلاميذهم على تعلم علوم الدين. فالتفسير بالرأيهو :الاجتهاد في التفسير: ويعني القول بالرأي في تفسير آيات القرآن المجيد، فكان منها المذموم ومنها المحمود، فالاجتهاد المحمود هو ما كان مستنداً علي علم يعصمه من الأخطاء، واعتبره كثير من العلماء جائز بناءً على أدلة منها ما يلي:

1ـ القرآن الكريم. لقد أمر القرآن بالتدبر كما في سورة محمد قوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[16] والله حين يأمر الناس بالتدبر والتفكر في آياته، فلابد أن يكون المتدبر فاهماً لما يريد تدبره، فكلما ازداد الإنسان تدبراً انكشفت له معانٍ لم تكن ظاهرة بادئ النظر، لأن التدبر عمل عقلي يهدف إلى أقرب معاني أودعت في النص.

2ـ الروايات التي وردتعن الصحابة أن الرسول ﷺ أقر اجتهاد الصحابة في التفسير، فعن عَمرو بن العاص أنه قال: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السّلاسِلِ، فاحتلمت في ليلة باردةٍ شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمّمتُ، ثمّ صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فقال: يا عَمرو، صليت بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟ قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أَهْلَكَ، فتيمّمْتُ، ثم صليت، فضحك، ولم يقل شيئاً)[17]. أي أن الرسول ﷺ أقر ما فعله عَمرو، وهكذا كان الصحابة رضى الله عنهم، إذا لم يتضح لهم المعنى سألوا الرسولﷺ، ولما نزلت الآية من سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[18] قلنا يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه، فقال: (إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح): في سورة لقمان ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[19]. فقد فهم الصحابة الآية بناءً على اجتهادهم، فلما لم يطمئنوا لما ذهبوا إليه من رأي، سألوا الرسول ﷺ، فأرشدهم للمعنى ولم ينههم عن الاجتهاد برأيهم، ولوا أنهم يعرفون أن الرسول عليه السلام يرفض الاجتهاد ما أخبروه.

3ـ دعاء الرسول ﷺ لابن عباس: بقوله: (اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل)[20]. فالمفهوم من هذا الدعاء إقرار الرسول ﷺ للاجتهاد في التفسير والتأويل المبني على العلم، ولو كان المراد المسموع والمنقول من التفسير عن النبي ﷺ لما كان لابن عباس مَزِيّةٌ بهذا الدعاء؛ لأنه يشاركه فيه غيره؛ عليه فإن التأويل المراد هو بمعنى الاجتهاد في تفسير القرآن، وهذا الاجتهاد والفهم إنما هو رأيٌ لصاحبه.

4- عمل الصحابة : مما يدل على أن الصحابة قالوا بالرأي وعملوا به ما ورد عنهم من اختلافٍ في تفسير القرآن؛ إذ لو كان التفسير مسموعاً عن النبي ﷺ لما وقع بينهم هذا الاختلاف. وقد ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة، قال: (أقول فيها برأيي؛ فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان)[21]،

والمعروف عن الرأي أنه يختلف بين شخص وآخر حسب امكانيات المفسر العلمية، وبعد عهد الصحابة تكونت عدد من المدارس التي تهتم بدراسة القرآن الكريم وحفظه وتفسيره على امتداد الدولة الإسلامية، وتعددت الآراء والاتجاهات، وهذا التعدد أحدث تصدعاً في وحدة الأمة، وأتخذ بعضهم التأويل ذريعةً لتصريف مبتغاهم، وقادتهم الأغراض الطائفية على حساب الحقيقة. ومن المُسَلم به أن التأويل أو التفسير الفلسفي يتم من خلال اللغة، فهي التي تعطيه المعنى، ذلك أن اللغةألفاظ تحمل معاني موجهة على شكل رسائل إلى الآخر المستقبل أو المرسل إليه، ومع ذلك ليس كل ألفاظ ورموز اللغة يمكن فهمها من قِبل كل متلقي، فبعض الألفاظ تخفي في طياتها معاني لاتتكشف إلا لأصحاب الخبرة والموهبة، وهذا ما يبتغيه التأويل أو التفسير الفلسفي، وهو محاولة الوصول إلى ما وراء المعاني الظاهرة، وفي بعض الأحيان فهم ظاهر النص لا يكون هدفاً في حد ذاته، بل الهدف ما يوحي به النص من خلال سياقه، وفي هذا يكون التأويل والتفسير بأنواعه وسيطاً بين المتلقي والفهم، ذلك أن الفهم يقع لمن يملك امكانيات الفهم، مع ملاحظة أن لكل منا حد معين لعالمه الخاص في الفهم، فالقارئ يحتاج إلى أكثر من فهم الألفاظ لتتضح له المعاني، إنه يفتقر إلي إدراك السياق ودلالاته الفكرية والتاريخية والاجتماعية؛ لتكون الصورة أكثر وضوحاً ويكون الفهم أقرب إلى الصواب، أي الفهم الذي يهدف إلى إجلاء الحقيقة بالأدلة المختلفة العقلية منها والنقلية، وإنْ كانت بعض الفرق الإسلامية كالصوفية مثلاً، تجدهم ينأون بأنفسهم عن العقل والنقل معاً، ويعتمدون في رحلتهم المعرفية على البصيرة لا على الفهم، أما القول بالرأي كما اسلفنا هو اجتهادٌ من عند القائل به، ولذا جُعِلَ التفسيرُ بالاجتهادِ مرادفاً للتفسير بالرأي أو التفسير الفلسفي، ومن التفاسير العقلية الفلسفية تفسيرات المعتزلة، حيث تأثر تفسيرهم بمذهبهم العقلي، ذلك أن المفسر إنسان له رؤيته الخاصة، ويتأثر بالآراء المذهبية والأيديلوجية؛ وعليه تكون تفسيراته متأثرة بمذهبه ومفهومه وتصوراته، وتتأثر بثقافته ومحيطه البشري والذي لا يمكن فصله عنه، وتبقى كل تفسيراته عبارة اجتهادات أصابت أو قاربت الصواب أو جانبته، والقارئ أو المتلقي يحاول الوصول إلى المعنى الحقيقي أي المعنى الذي أودعه المرسل في النص.

المطلب الثاني: التفسير العقلي وشروطه:

عندما يبحث القارئ عن المعنى الذي يؤيد مذهبه، فإنه يجتهد في إعمال عقله للوصول إلى المعاني التي تؤيد رأيه، ولذلك ظهر التفسير العقلي مع الخلاف حول قضايا جديدة في الثقافة الإسلامية سببت اختلاف فكري ومذهبي بين المفسرين مع أنهم متفقون في الدين ومرجعهم جميعاً القرآن، إلا أنهم اختلفوا في التفسير بالرأي أو التفسير العقلي، أو التفسير الفلسفي وسنتناول في هذا البحث البعض من أشهر تفاسير فلاسفة المسلمين.

1. تفسير المعتزلة:

إن ما يميز المعتزلة عن الفرق الإسلامية الأخرى، أن أول أسباب ظهورهم لم يكن سياسي كالخوارج والشيعة، بل كان سبب نشأتهم فكرياً وفقهياً، وذلك حول مسألة مرتكب الكبيرة، أكافر أم مسلم، فاعتزل واصل بن عطاء مجلس شيخه الحسن البصري إلى سارية من المسجد وأخذ يشرح لمن تبعه رأيه في هذه المسألة، فقال الحسن البصري اعتزلنا واصل فأُطلق عليهم اسم المعتزلة، وفي ذلك العهد بدأت الترجمة للفلسفة اليونانية إلى العربية واستفاد منها المعتزلة في الجدل والدفاع عن أراءهم "وينسب المؤرخون إلى أبي الهذيل العلاف، وتلميذه إبراهيم بن سيار النظام الاطلاع على كتب الفلاسفة والتأثر بها، وتُعد هذه بداية التحول من المنهج الديني الخالص إلى الطريقة الجدلية التي يهمها الانتصار على الخصم، بإيراد مقدمات مشهورة لايستطيع الخصم المنازعة في صحتها"[22]، ومن المعروف أن التفاسير متعددة والنص واحد، و أنه لم يحض أي نص من النصوص بالاهتمام والتدبر و التفسير والتأويل، كما حضي به النص القرآني عند المسلمين، وقد تنوعت التفاسير بتنوع المناهج والمقاصد والإيديولوجيات للفِرق الإسلامية على اختلاف أنواعها و مشاربها، إذ نشأت مقاربات متعددة وكان لتعددها أثر في توسيع دائرة التفسير والتأويل للآيات القرآنية، فانبثق منها ما هو عقلي يعتمد على العقل كوسيلة للمعرفة، ومنها ما هو نقلي يعتمد القرآن نفسه كوسيلة يتم التركيز من خلالها على الجانب اللغوي المعتمد على حرفية النص، و يسمى أيضاً تفسير القرآن بالقرآن، و منها ما هو باطني يعتمد على استكناه المعاني الباطنية للنصوص القرآنية، باستلهام الملكة التفسيرية من خلال الحدس الباطني، وهو الذي تنتهجه المذاهب الصوفية، إضافة التفاسير السنية والشيعية، والتي تعمل بمقتضى ضوابط وضعت لتأويل النص القرآني، وساعد على ذلك حدة القضايا المتداولة في ذلك الوقت، ومنها

المتعلقة بصفات الله وكذلك حرية الإنسان في أفعاله، أضف إلى ذلك التأثر بالعلوم اليونانية التي دخلت عبر ترجمة الكتب وقد أعجب بها بعض العلماء المسلمين وأخذوا منها، وتحول بعضهم إلى التفكير العقلاني النقدي، وفي هذا الخضم تأسست فرقة المعتزلة، على أُصول خمسة، لايعتبر معتزلي من لايقول بها، وكان من أبرز مفسريهم الزمخشري.

2- تفسير الزمخشري[23]* الزمخشري له عدة مصنفات في اللغة والتفسير أهمها "الكشافعن حقائق التنزيل وعيون التأويل"، في هذا الكتاب صاغ مبادئ المعتزلة بمهارة في أسلوب بلاغي أدبي رائع، متتبعاً في تفسيره المعاني، مشيراً إلى وجوب الاطلاع على كم وافر من العلوم، وفي هذا يقول: "ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في عمليتين مختصتين بالقرآن وهما: علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرصه على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون أخذ من سائر العلوم بحظ وافر، وأن يكون جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات، طويل المراجعات"[24]. من هنا يبدو جلياً منهجه في تفسير القرآن أنه جعل للعقل حيزاً كبيراً فيه، لذا نجده قد صاغ تفسيره بأسلوب رائع مهتماً ببلاغة النص القرآني للغوص في أعماقه وكشف الباطن، ودلل على القواعد بالشواهد في تحليل النصوص والوقوف عند دقائقها، وكان العقل هو الأداة التي يكشف بها الزمخشري باطن النص وخباياه. وبما أن العدل الأصل الثاني من أصول المعتزلة، وهو ما نتج عنه فكرة الصلاح والأصلح والحسن والقبح العقلية، لذا يؤكد إنما هما في الأشياء ذاتيتان، وليس الشرع هو الذي وضعهما، وإنما هو مجرد واصف لهما. ويقول: " إن الشرع في تحسينه وتقبيحه للأشياء إنما هو مخبر عنهما لا مثبت لهما والعقل مدرك لهما لا منشئ" [25]، وفي تفسيره للآية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخيْرِ وَيَأْمُرُونَ بالمعْرُفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾"[26] يقول في تفسيرها:"منكم للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولأنه لا يصلح له إلا من عَلِمَ المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يُباشره"[27]. ويقول في علم البيان: "فالفقيه لا يغوص على الحقائق، إلا رجلاً قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان وهمة معرفة لطائف حجة الله، وحرصٌ لاستيضاح معجزة رسول الله" .[28]

المطلب الثالث:. التفسير الفلسفي عند إخوان الصفا

إخوان الصفا، هم جماعة من فلاسفة المسلمين، عاشوا في القرن الثالث الهجري في مدينة البصرة بالعراق، حاولوا التوفيق بين الفلسفة والعقائد الإسلامية، فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها (تحف إخوان الصفا) وتُعرف أيضاً برسائل إخوان الصفا، وقد تأثرت هذه الجماعة بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية، وكان هدفهم المشترك هو التوفيق الفعلي بين الفلسفات والأديان المختلفة، وأن تتشبه النفس البشرية بالخالق قدر المستطاع ، ولا يزال العلماء يجهلون الكثير عن تاريخ نشأتهم وتكوينهم، وإن رجح بعضهم صلتهم بالباطنية الإسماعيلية. ومن تأويلاتهم الفلسفية لبعض آيات القرآن: ما نراه في تفسيرهم لمعنى (الجنة، والنار) بأن مفهوم (الجنة) مكانها في عالم الأفلاك، بينما (النار) تكون في فلك هو تحت القمر، يعني عالم هذه الدنيا، ونجد في كلامهم عن النفس بأنها تشتاق لعالمها وهو عالم الأفلاك، وفي هذا يرون أن هذا الجسد المخلوق من التراب الثقيل أنه لا يمكن أن يصعد إلى عالم الأفلاك، لذلك « فإن النفس إذا فارقت هذه الجنة، ولم يعقها شيء من سوء أفعالها، أو فساد آرائها، وتراكم جهالاتها أو رداءة أخلاقها، فهي هناك في عالم الفلك في أقل من طرفة عين بلا زمان، ذلك أن كل همها فيما تهواه وتعشقه وتحبه، وذلك هو حال النفس العاشقة ترغب أن تكون حيث معشوقها. فإذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد، ومعشوقها هو الملذات المحسوسة المموهة، وشهواتها هذه الزينات الجسمانية، فهي لا تغادر هذا العشق ولا تروم الصعود إلى عالم الأفلاك، ولا أبواب السماء تفتح لها ولا تدخل جنات النعيم مع ملائكة الرحمن، بل إنها تبقى تحت فلك القمر، سائحة غارقة في قعر هذه الأجساد المستحيلة المتضادة، فهي تارة من الكون إلى الفساد، وتارة من الفساد إلى الكون: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}[29]. {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً}[30] ، ما دامت السماوات والأرض، ولا يتنعمون بنعيم عالم الأرواح ولا يجدون لذة شراب الجنان المذكور في القرآن: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[31] هذا جزء من تأويلات إخوان الصفاء لبعض آيات القرآن حسب ما تمليه عقولهم وأفكارهم.

المبحث الثاني: المطلب الأول:التفسير الفلسفي عند الفارابي:

الفارابي توفى سنة (339هـ) ليس له تفسير شامل لكتاب الله، لكنه فسر بعض آيات القرآن المجيد، وذلك في كتابه (فصوص الحكم) الذي يُعد نموذجاً جيد للتفسير الفلسفي، فقد فسّر الفارابي، بعض الآيات القرآنية، تفسيراً فلسفياً،من ذلك: أنه يفسر قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ تفسيراً أفلاطونياً مبنياً على القول بقدم العالم، فيرى إنه الأول من جهة أنه منه ويصدر عنه كل موجود لغيره، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قربه منه، أول من جهة أن كل زماني ينسب إليه بكون، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء، ووجد إذ وجد معه لا فيه، كما جاء في جامع البيان. ويشرح (الظاهر) و(الباطن) في سورة الحديد فيرى أنه لا وجود أكمل من وجوده، فلا خفاء به من نقص الوجود، فهو في ذاته ظاهر، ولشدة ظهوره باطن، وبه يظهر كل ظاهر، كالشمس تُظهر كل خفي، ويوضح هذه العبارة مرة أخرى، فيؤل ذلك كما يلي: "هو باطن؛ لأنه شديد الظهور، غلب ظهوره على الإدراك فخفي، وهو ظاهر من حيث أن الآثار تنسب إلى صفاته، وتجب عن ذاته فتصدق بها"[32]. وعن الوحي يقول: "والوحي لوح من مراد الملك للروح الإنسانية بلا واسطة، وذلك هو الكلام الحقيقي، فإن الكلام إنما يراد به تصوير ما يتضمنه باطن المُخَاطِب في باطن المُخَاطَب ليصير مثله، فإذا عجز المخُاطَب عن مسِّ باطن المُخَاطِب بِبَاطِنه، مسّ الخاتم الشمع فيجعله مثل نفسه، اتخذ فيما بين الباطنين سفيراً من الظاهرين، فتكلم بالصوت أو كتب أو أشار، وإذا كان المُخَاطِب لا حجاب بينه وبين الروح اطلع عليه اطلاع الشمس على الماء الصافي فانتقش منه، لكن المنتقش في الروح من شأنه أن يسبح إلى الحس الباطن إذا كان قوياً، فينطبع في القوة المذكورة فيشاهد، فيكون الموحى إليه يتصل بباطنه، ويتلقى وحيه الكلي بباطنه".[33]

والفارابي يؤمن بأن علم الله الخالق شامل للكليات والجزئيات. لذلك يفسر الآيتين التاليتين: ﴿ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي اَلْأَرْضِ﴾[34]وكذلك ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾[35]كما يلي: " وهو عالم لا يتغير علمه لأنه يعلم الأشياء بالأسباب العقلية والترتيب الوجودي لا بالحواس، والعلم العقلي لا يتغير، والمستفاد من الحس يتغير" .[36]

وفي تفسيره للآية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَتِنَا فِي اَلآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[37]، يقول " لك أن تلحظ عالم الخلق فترى أنه لابد

من وجود بالذات، فإن اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل"[38]. وعند الفارابي لسنا في حاجة إلى تلك الاستدلالات الطويلة لإثبات وجود الله، بل يكفي أن ندرك ذاته لنسلم بوجوده في آن واحد، لأن ماهية الباري عين ذاته أو هي الوجود نفسه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّاقَلِيلاً ﴾[39] يقول الفارابي في تفسيرها : " إن القوى التي تدرك المعقولات جوهر بسيط وهو مفارق للمادة يبقى بعد موت البدن، وليس فيه قوة قبول الفساد."[40] وهذا يؤكد إيمان الفارابي بخلود النفس، لأنها مفارقة وليس فيها قوة قبول الفساد.

المطلب الثاني:تأويل المتشابه عند أبو حامد الغزّالي*[41]

إنّ نظرة الغزالي للقرآن نظرة شاملة متفحصة، ونظرة تفهّم، فهو يرى أن في القرآن مجالاً ومتسعاً لمن أراد الفهم و الاستبيان و الاستنباط، وهو الأمر الذي تؤكده الأخبار والآثار و قد ورد حديثه في هذا الخصوص:"من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ترجمة ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم، يرد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم"[42]. فالغزالي بهذا يدشن دعائم القراءة التأويلية، ويجعلها قراءة توسع مجال المعرفة وتخصبها، لذا نجده يرجح التأويل بالبرهان إذا تعارضت الاحتمالات، في مجال المتشابه، إذ يقول: يُكَفُّ عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، لأن الحكم على مراده سبحانه ومراد رسوله بالظن والتخمين خطر، فإنما نعلم مراد المتكلم بإظهار مراده، فإذا لم يظهر فمن أين تعلم مراده؟ إلا أن تنحصر وجوه الاحتمال، ويبطل الجميع إلا واحداً، فيتعين الواحد بالبرهان).[43]

وعليه فإن أبا حامد يفرد أبواباً لدلالات الألفاظ وجعلها في ثلاثة أوجه هي: المطابقة ثم التضمن ثم الالتزام، والنظر يستعمل في تلك الألفاظ التي تدل بطريقة المطابقة والتضمن، ثم إنه يفرد لها أبواباً كاملة ويقسمها بناءً على دلالاتها اللفظية والأسباب المدركة لها إلى "ذاتية ومحسوسة ومخيلة ومعقولة"[44]. والتأويل عند الغزالي كما أسلفنا لا يكون إلا عند تعارض الأدلة وفي هذا يقول: "إنه أول منزل ينفصل فيه المعقول عن المنقول، إذ من هنا يأخذ العقل الإنساني في التصرف"[45]، وهذا التصرف من العقل يعني تأويل النص بشكل

يحافظ على هيبة العقائد الإسلامية وقدسية النص القرآني وثوابت الأمة ومبادئها، التي هي محكمات النص الديني، وغير هذا فالعقل الإنساني لابد أن تكون له تأثيراته في التفاسير وتأويلات النصوص بشكل فعال ومؤثر في اتجاه التاريخ، وذلك حسب ما يقتضيه الوضع في النظام اللغوي، وعليه فإن البحث في تراثنا اللغوي البلاغي، يتراوح بين اللفظ والمعنى، و منهما الذي يحوز قصب السبق ويحظى بالأفضلية، وهو بدوره انتقل إلى مجال التفسير والتأويل.

وأما في مجال التأويل الصوفي فالغزالي يرى أن أداة المعرفة الصوفية هي القلب وليس الحواس، ولا العقل، والقلب عنده ليس هو العضو المعروف، الموجود في الجانب الأيسر من صدر الإنسان، وإنما هو اللطيفة الربانية الروحانية التي هي حقيقة الإنسان، وقد يكون لها بالقلب الجسماني تعلُّق، إلا أنَّ عقول الناس تحيرت في إدراك وجه العلاقة بينهما.

لذا يعتبر الغزالي أنَّ إصلاح القلب يكون بالتزام الخلوة، وكثرة الصمت والتأمل والجوع وإطالة السهر، إذ ليس سلوك الطريق إلا بقطع العقبات، ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا، فإذا داوم المريد على رياضة نفسه أي ترويضها على ذلك فيحصل له الكشف الذي عرَّفه الطوسي بقوله: الكشف هو بيان ما يُستر على الفهم فيكشف عنه العبد كأنَّه رأي العين، والكشف المباشر عند الغزالي يقابل الاستدلال العقلي، فبعض القلوب تحصِّل المعرفة بالإلهام الإلهي مبادأةً ومكاشفةً، وبعضها يحصِّلها بالتعلم والاكتساب.

نلاحظ أهمية حرية الفكر عند الغزالي، فلم يكن الغزالي ذلك المقلد الذي يتبع ما كان عليه ممن سبقوه، إلا بعد الفحص والفهم والتأمل، يظهر ذلك في تفسيراته لنصوص القرآن الكريم، وذلك في كتابه مشكاة الأنوار، نخص منها بالتحديد آية النور، حيث يقول في تفسير هذه الآية: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يقول: "اعلم أن نور بصر العين موسوم بأنواع من النقصان، فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه، ولا يبصر ما بَعُدَ منه ولا مقرب، ولا يبصر ما هو وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها؛ ويبصر من الموجودات بعضها، ويبصر أشياء متناهية، ولا يبصر ما لا نهاية له، ويغلط كثيراً في إبصاره"[46]، ويقول

موضحاً ذلك "فإن كان في الأعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هو أولى باسم النور أم لا" [47].

1. المشكاة: وفي تأويله لها بأنها الروح الحساس، وهو الذي يتلقى ما تورده الحواس الخمس وكأنه أصل الروح الحيواني وأوله، وهو موجود للصبيّ والرضيع، وأوفق مثاله في عالم الشهادة : المشكاة، ومنه الروح الخيالي، والروح العقلي، الروح الفكري.

2ـ الزُجاجة : وهي حسب تأويله تقابل الروح الخيالي الذي يستثبت ما تورده الحواس، ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه، وخواصه أنه من طينة العالم السفلي الكثيف، لكنه إذا صُفّي ورقق وهُذّب صار موازياً للمعاني العقلية ومؤدياً لأنوارها، ثم إنّ الخيال محتاج إليه لضبط المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل، وهذه الصفات لا تتوافر في عالم الشهادة إلا للزجاجة، فهي في الأصل جوهر كثيف لكنه صُفّي ورقّق حتى لا يحجب نور المصباح، بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة.

3ـ المصباح: وهو عند الغزالي يمثل الروح العقلي الذي به يتم إدراك المعارف الشريفة الإلهية، ولذلك كان الأنبياء سُرجاً منيرة لكل الخلق.

4. الشجرة: ويؤلها بأنها تقابل الروح الفكري الذي هو قابلٌ للمضاعفة، فهو يبتدئ من أصل واحد، ثم تتشعب منه شعبتان، وهكذا إلى أن تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية، ثم تفضي بالآخرة إلى نتائج هي ثمراتها، وهذه الثمرات تعود بذوراً لأمثالها. هذا الروح الفكري الذي يبدأ من واحدٍ ثم يتلاقح مثاله في عالمنا، هذه الشجرة وخُصّت شجرة الزيتون بالاختيار لأن الزيت يستمد منها، وهو مادة المصابيح، وتختص بخاصية زيادة الإشراق، ولذلك كانت هذه الشجرة مباركة لكثرة ثمرها وما يفيضه من خير، وإذا كانت شعب الأفكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الإضافة إلى الجهات والقرب والبعد، فبالحريّ أن تكون لا شرقية ولا غربية.

5ـالزيت: وهو مقابل الروح القدسي النبّويّ "الذي يختصّ به الأنبياء، وبعض الأولياء وفيه تتجلى لوائح وأحكام الأخرة، وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض"[48]، لأنه في غاية الصفاء والشرف، وكأنه يتنبّه بنفسه من غير مدد خارجي، لذلك فهو يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، إذ من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد

الأنبياء، وفي الأنبياء من يكاد يستغني عن مدد الملائكة، وإذا كانت هذه كلها أنواراً بعضها فوق بعض فَحَرِيٌّ أن تكون نوراً إلى نور، ونور الله المتجلي في الإنسان كمشكاة، وتلك الأنوار اقتبست من نور الأنوار الذي ضرب لها أمثلة من العالم المحسوس.

المطلب الثالث: التفسير الفلسفي عند ابن رشد:

هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد واشتهر باسم ابن رشد الحفيد وهو فيلسوف أندلسي، ولد في قرطبة بإسبانيا في 1126/4/14ميلادية. درس الفقه والفلسفة والطب وكان متأثر بفلسفة أرسطو وابن سينا وأبو حامد الغزالي، كان ابن رشد يدعو إلى تجديد صناعة الفقه انطلاقاً من معطيات العقل، ذلك لأنه لم يكن مجرد فقيه، بل كان بالإضافة إلى ذلك فيلسوفاً ينظر إلى المطالب الفقهية بمنظور أعمق ويستمد أصوله من المنطق، والبرهان، لذا كان ينتصر للاجتهاد، ويدافع عنه، وفي مقابل ذلك كان يحتقر التقليد، وإنا إذا نظرنا إلى التطابق الذي يحدثه ابن رشد بين التأويل والاجتهاد، ويعلن عن حقه في التأويل انطلاقاً من مفهوم الاجتهاد الذي هو حق شرعي أقرته الأمة، بل أكثر من ذلك، فهو يعمل على ربط الاجتهاد بمفهوم فقهي آخر، وهو حقه في التأويل، وعليه فهو يفسح المجال أمام الفلاسفة لا غيرهم للقيام بالتأويل في مجال الفقه لأنهم أعرف بمقاصد الشريعة، ثم أنه يملك علم البرهان، وهو بهذا المبرر يريد أن يكون للفيلسوف رأي في صناعة التأويل والتفسير. إن ما دفع ابن رشد إلى الاهتمام بالفضائل وربطها بالقواعد الفقهية وتقسيم صناعة الفقه إلى ما يتعلق منها بالجانب العملي، أي بالأمور المحسوسة، وما يتعلق منها بزكاة النفس، أي ترسيخ الفضائل في النفوس، هو دليل على ادخال القواعد الفقهية والاهتمامات الفلسفية في صناعة الفقه. لا سيما وأنه يأتي بأمثلة كثيرة من قواعد الأرغانون الأرسطي ليبرر موقفه من بعض المطالب الفقهية التي وقع بصددها الاختلاف. وبهذه الطريقة يجدد ابن رشد صناعة الفقه انطلاقاً من معطيات العقل، والمنطق، والبرهان، فالفقهاء إذا كانوا يستندون على القياس في تبرير أحكامهم الشرعية، فإن هذا القياس يظل قياساً ظنياً، لذلك يستند ابن رشد دائماً على القياس البرهاني في تبرير أحكامه. ومن المعروف ابن رشد فيلسوف عقلاني و هو كذلك خبير في فلسفة أرسطو، لذلك نراه خصص كتابه الذي سماه (فصل المقال) ليوضح أن أصح التأويل، هو الذي ينتج عن أتم أنواع القياس وهو القياس المنطقي، ذلك أن فهم المنطق وآلياته تعد معرفة خاصة، أي من اختصه الله بهذه المعرفة، في حين أن القياس

الجدلي والقياس الخطابي هي وسيلة الجمهور للجدل والاقناع والإيهام، ومن المسلم به أن طباع الناس متفاوتة في الاقتناع، فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالجدل أو بالأقاويل الخطابية، فيقول: "فقد تلطف الله فيها لعباده الذين لا سبيل لهم إلى البرهان، إما من قبل فطرتهم، وإما من قبل عاداتهم، وإما من قبل عدمهم أسباب التعلم"[49].

نتائج البحث:

لعل أهم النتائج التي تم استخلاصها من خلال هذه الدراسة تتحدد فيما يلي :

1. إن التفسير الفلسفي أو التأويلي، يهدف إلى فهم النصوص بدون استخدام المنهج العلمي الصارم، بحيث أن الفهم يمكن أن يتحقق خارج نطاق المنهج العلمي، وذلك بأن ينطلق الفهم من الذات أي من الخبرة الذاتية التي عاشها الإنسان أنطولوجياً، وأن الفهم مرتبط بالخبرة و البيئة العلمية أو المحيط المعرفي المعيش.
2. لقد حاول بعض الفلاسفة الحداثيين التوفيق بين المنهج الهرمنيوطيقي الغربي المعتمد على التأويل، وبين منهج المسلمين في التفسير بالرأي، ولكنهم وقعوا في نوع من التلفيق وأتى بتأويلات بعضها تنبؤ عن الفهم.
3. – إن التأويل مرتبط باللغة لا ينفصل عنها، باعتبار أن اللغة هي الواسطة التي تتم بها عملية الفهم والتأويل، ذلك أن اللغة تبني عالماً مستقلاً عن الذات، وهي آلة حاملة للخبرة الإنسانية.
4. أن أي صوت من مكونات الكلمة أو "فونيم" أو أي حرف من الحروف المقطعة في مستهل بعض السور القرآنية، لا تستعمل من قبيل الصدفة أو التلقائية كما أن سياقاتها لم تكن عبثية، وإنما جاءت لدلالات معينة..
5. – أن أي نص له أصول كامنة داخل نظامه الذاتي، وليس داخل نظام الثقافة، ذلك أن النص يعمل على بناء الثقافة، ثم إن الثقافة تؤثر في تطور فهم النص، من هنا يكون التأثير متبادلاً في حصول الفهم الأفضل .

التوصيات

أولاً:ـ ضرورة التعمق في المعاني الكامنة في النص القرآني والعمل على قراءة تتجاوز مقاربة ظاهر النص أو مستواه السطحي الذي يحدده الخطاب اللغوي إلى مستوى عميق أو باطني يتلاءم مع ظروف العصر و مستجداته، فليس من الحكمة أن يطاوع النص الغرض المقصود.

ثانياً:. يجب التعامل مع النص القرآني كنص مقدس، له نظامه المعرفي المستقل، كما أن استكشاف طبيعته يكون من داخل نصوصه، ذلك أن بعض الآيات يُفسر بعضها الآخر، ومن الصعوبة بما كان أن يصل أي مفسر إلى المراد المطلق من الآيات المتشابهات، والتفاسير .

ثالثاً:- نوصي بالتركيز في معاني الآيات المتشابهات والتي تُعد من أسمى الشواهد والدلائل على إعجاز القرآن الكريم، وكلما تطور العلم والعالم اكتشف المزيد من الأسرار العظيمة والحكم العجيبة، والتي لا يدركها إلا من تدبرها أحسن تدبر، وسبر أغوار معانيها الباطنة.

رابعاً:- أوصي بالمزيد من الدراسات المستفيضة في متشابه القرآن الكريم، لأن تلك الآيات لم يكن وجودها صدفةً، وإنما جاءت لتفي بأغراض وأهداف سامية من لدن عليم حكيم، الذي أنزلها إلى عباده ليتدبروها.

الهوامش

1- سورة الكهف 29 .
2- سورة التكوير 29.
3- سورة الشورى 11.
4- سورة الفتح 10.
5- سورة الفجر 22.
6- سورة آل عمران 7.
7- عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظري التأويل من افلاطون إلى جادمير، رؤية للنشر، الطبعة الأولى، 2007م، ص280.

8- محمد شبستري، الهرمنيوطيقا والتفسير الديني، مجلة قضايا معاصرة، العدد 54-. 2013م، ص22.
9- نعمان بوقرة، عنوان الدراسة: قراءة في النظرية الظاهرية وتطبيقاتها في الخطاب الديني، جامعة عنابة/2011/4م.
10- نصر حامد ابوزيد، صاحب هذه الدراسة مفكر مصري معروف، وهي دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، الطبعة4، الناشر: المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .1998م .
11- عادل مصطفى، وهو صاحب هذه الدراسة، وهي بعنوان: فهم الفهم، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار رؤية للنشر، الطبعة الأولى، 2007م.
12- محمد شحرور. صاحب هذه الراسة، وهي بعنوان الكتاب والقرآن- دراسات إسلامية معاصرة، والمؤلف دكتور ومهندس سوري، نشر دار الأهالي. 1990م
13- أسماء حديد، صاحبة هذه الدراسة وهي بعنوان: تاريخية النص القرآني عند نصر حامد أبوزيد، وهي رسالة ماجستير، الجزائر، 2011م. كلية آداب جامعة فرحات عباس. السنة الجامعية.
14- محمد مفتاح، صاحب هذه الدراسة، دكتور ومفكر معروف في المغرب، وهي مقاربة نسقية، الطبعة الأولى1994م، المركز الثقافي العربي، المغرب .
15- رواه ابن عبد البر في الجامع (2005) .
16- سورة محمد آية 24.
17- تفسير ابن كثير الجزء 2. عن 235 عبد الرحمن بن جبير.
18- الأنعام 82.
19- لقمان 13.
20- رواه البخاري عن ابن عباس.
21- رواه ابن عبدالبر في الجامع 2005.
22- نصر أبوزيد، الإتجاه العقلي في التفسير، المركز الإسلامي، الدار البيضاء، ط4، 1998م. ص45.

23- محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، ويلقب بجارالله، ولد في عام 467هـ /1074م.

24- الزمخشري، الكشاف، تحقيق محمد مرسي، دار المصحف للنشر، القاهرة ط2 ، 1977م – ص8.

25- المصدر السابق. ج-+2. ص412.

26- سورة، آل عمران: 104.

27- الزمخشري، تحقيق، عادل أحمد وعلي محمد، مكتبة العبيكان، ج1، ط1، 1998م ص192.

28- السابق، المقدمة، ص2- 3.

29- النساء 56.

30- سورة النبأ 23.

31- سورة الأعراف: 50

32- الحديد 3.

33- الفارابي عيون المسائل ص15.

34- سباء 3.

35- سورة الأنعام 59.

36- الفارابي عون المسائل ص127.

37- سورة فصلت 53.

38- الفارابي عيون المسأئل.

39- سورة الإسراء 85.

40- الفارابي عيون المسائل ص128.

41- الغزالي، دار الكتب العلمية ، بيروب. ص45

42- رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروب.ص58. 46- رسائل ال

43- الغزالي المصدر السابق ص55

44- الغزالي المستصفى ص73.

45- الغزالي مشكاة الأنوار ص44.

46- الغزالي، رسائل الإمام الغزالي، مصدر سابق ص129.

47- الغزالي المستصفى 35.

48- الغزالي مشكاة الأنوار 33.

49- ابن رشد، أبو الوليد، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال، سيراس، ص 39.